نضال العزاوي

ونخيل العراق - قراءة في نص

سلطة الشعر في رأيي هي اعلي السلطات المتحكمة بالإنسان، والشعرية تتطلب حسا مرهفا وفسحة من الحرية للتعبير، وهذا ما لازم الشعر والشعراء عبر كل العصور، ولما للذكورة من هيمنة على الساحة العربية فإن فضاء الحرية متاع للرجل له ما يقول دون المرأة، والوطأة عليه أخف في ما يقول وإن خرج عن العرف وخالف السائد .

هذه ثابتة اعتدنا عليها في عموم مجتمعاتنا العربية، والتي شكلت عامل إحباط أمام المرأة في التعبير عن ذاتها، وفوق كل ذلك محاصرة الأعراف البالية، للشاعر ذكر وأنثى بل أن بعض التيارات المتخلفة تضع الكثير من الاستفهامات على شخصية الشاعر، متناسين تماما أن الشعر بعض نبوءة ونبوغ وموهبة يخص الله بها من عباده من يشاء وإلا لصار الجميع شعراء، ولو توغلنا قليلا للشعر النسوي لوجدنا أن معظم التجارب خجولة ومتواضعة ليس لان المرأة لا تجيد التميز في شعرها بل لما وضع في طريقها من محذورات .

ولهذا الحديث صلة بما سأتحدث عنه من تجربة نسوية ناجحة ومقنعة رغم كل الضباب المحيط بالمشهد الثقافي العراقي والمشهد الشعري بشكل خاص، ففي عصرنا يجد كل شاعر ذاته متنبي وبحتري، وكل شاعرة تجد نفسها خنساء وعنان، ولا بأس في أن يعتد الشاعر بذاته ولكن ذلك محكوم بضوابط وكم هائل من الأسئلة في مقدمتها «هات ما عندك «بمعنى ماذا لديك من جديد لان الشعر قالته العرب قبل امرؤ ألقيس إلى يومنا وطرقت كل الأبواب واستعملت كل المفردات؟ ولو جاء الشاعر بجديد فإن هذا يفضي لسؤال آخر «وهل أسمعت ما جادت به قريحتك؟ «ولو أسمعته فثمة تساؤل مشروع هل أوصلت الرسالة للمتلقي كون الشعر رسالة سامية ومسؤولية كبيرة؟ كل هذه الأسئلة كانت تدور في خلدي ونحن نلبي دعوة كريمة من صالون العشرين في مدينة الإسكندرية العتيدة في القاهرة المعمورة من لدن الدكتور خيري السلكاوي رئيس هذا المنتدى العربي العملاق، والدكتور عبد الناصر الأمين العام، ومن يقف خلفهم من الداعمين الأجلاء الفضلاء وهم يؤكدون لنا أننا واحد وكل الشعوب العربية تحيا بشريان والعرب جسد إذا تألم العراق تئن مصر وإذا شكى اليمن نزفت الشام وجرح الشام سكين في خاصرة العرب الشرفاء جميعا، نعم السؤال نحن الوفد العراقي ماهي الرسائل التي تضمنتها قصائدنا ولعل السؤال الأكثر قلقا كان:هل سنقول إلى الأخوة هناك أن الشعر النسوي في العراق

بخير، هذا ما كان على عاتق العنصر النسوي الوحيد الذي رافقنا وهي الأستاذة الشاعرة العراقية نضال العزاوي وهي إعلامية معروفة وناشطة في مجال حقوق المرأة .الذي يعنينا في هذه الورقة شاعرتنا الملتزمة نضال التي أقول وبلا مبالغة أنها كانت ممثلة شرف للشعر النسوي العراقي الحديث، والتي أوصلت رسالتها بكل إمكانية، وأتم شجاعة، ونطقت باسم كل العراقيات، بل أسمعت الجميع «نحن هنا شاعرات العراق الولود للأدب والفن والفكر هنا نتحدث باسم الهم العراقي ولا تعنينا أنفسنا» وليس بهذه العجالة أن أمر على مضامين قصيدة الشاعرة كلها وسأكتفي بالإشارة لجانب واحد حملته وهو العراق ولا سواه، لم تكن القصيدة من غرض الذاتي بل الموضوعي المؤثر الذي تحدث بلسان الأخر وانفتح على شجن موجع بحيث تفاعل الحضور مع النص حدّ البكاء عندها شعرت بأن الرسالة وصلت وسجل العراق حضورا طيبا فما قالته العزاوي هو على لسان كل عراقي وطني يشعر بانتمائه لأمة العرب قالت:

أنا من عـراقٍ كـانَ يصدحُ للملا

يُـقـري الجـيـاعَ وكعبة الــزوار

وقد عبّر هذا البيت عن مكانة هذا البلد المبتلى بالنزيف عبر تاريخه وما أن يشعر بشيء من الاستقرار حتى يمد يده البيضاء لكل العرب فعلا

لا قولا ويحاول جاهدا لملمة الشتات وتوحيد كلمة العرب انطلاقا من مكانته وثقله السياسي والاقتصادي ولا يتخلف عن عون أحد إلا حين تثخن جراحه ويحتضر من الطعنات لكنه لن يموت، هذه مضامين هذا البيت كما تبدو الم أقل ان العزاوي نجحت في إيصال الرسالة ...!

وفي موضع آخر قالت:

أنـا قامة النخل التي لا تنحني

ويدور قطب الكون حول مداري

حين قالت الشاعرة هذا البيت كنت أجلس بجانب الدكتور وكيل وزارة الثقافة اليمني وهو شاعر مفوه سمعته يتأوه ألما للعراق كما نتألم لاجل اليمن الجريح ويصفق بحرارة مؤيدا بينما هو يصفق وجدني قد غرقت في نشيج طويل نعم العراق ومن أجله يحسن أن نبكي دما بدل الدموع، لا ولن ينحني العراق بألف خير وهي مزنة شرّ وستمر وينهض شامخا عراق الله معافى ويحتضن أبناءه وإخوته العرب ويعود قطب الرحى كما ينبغي له أن يكون .

ألم أقل أن الشاعرة لم تتحدث عن ذاتها مطلقا إنها حملت الهم الوطني وهذا ما جعل قصيدتها تتميز كثيرا ويتفاعل الجمهور معها لدرجة البكاء المر، ولعل من محاسن المهرجانات توأمة القلوب العربية، وتقارب وجهات النظر، وخلق أجواء من الألفة والمحبة .